الإلتزام بالنظام رقي

حامد هاشم الصبحي

لقد خلق الله هذا الكون وأبدعه وبناه على نظام دقيق محكم ، ورتب كل مافيه ، وجعل العبادات كذلك مرتبة ومنظمة وحدها بحدود منع من تعديها وتجاوزها ، وإن كل هذا الإحكام والتنظيم إنما هو تربية للناس عامة وللمسلمين خاصة؛ ليكونوا في كل حياتهم منظمين مرتبين وعلى الصواب سائرين وعن الخطأ متجانفين .

وإن كل ما حول الإنسان ليدفعه ليكون منظماً في حياته مرتباً في وظيفته ، متقناً لعمله ، محسناً في تعامله ، ولكن هذا لإنسان لربما يخرج في بعض الأحيان على النظام فيتردى في حمأة اللهو والعبث والتقصير والإساءة ، متوهماً أن هذه هي الحرية وما علم أن الحرية إذا كانت تركاً لواجب أو إقدام على ممنوع أو تقصيراً في أداء أو ضعفاً في إتقان أواختراقاً لنظام ، فإنما ذلك أول طريق النهاية وبداية خراب عالمه الذي يعيش فيه ، فمتى خالف أفراد المجتمع الأنظمة بدعو الحرية وانقياداً لرغباتهم الشخصية فسوف تضطرب الأمور وسيكون الناس في أمر مريج ، وما منا من أحد إلا يلحظ تقصير الكثير ممن حوله في تطبيق الأنظمة وتهاونهم بها سواء منها الأنظمة الربانية أو تلك التي سنها ولاة الأمر لتسيير حياة الناس وضبط شؤونهم والتي ليس لهم عذر في ترك تطبيقها وهم يعلمون مصلحتها فضلاً عن وجوبها الشرعي الذي هو لازم من لوازم طاعة ولي الأمر .

وإنه مما يحز في النفس أن تجد من أبناء الوطن ممن سافروا إلى بعض دول الشرق أو الغرب بأن تجد منهم إعجاباً بدقة الناس في تلك الدول في مواعيدهم وتمسكهم التام والدقيق بالأنظمة واللوائح ، وعدم تفريطهم في التعليمات والضوابط ، بينما تجده هو وغيره في هذه البلاد من أقل الناس تمسكاً وانضباطاً بالأنظمة والتعليمات ومن أسرعهم تفلتاً من أوامر الدين وأجرأهم على مخالفة الأنظمة والضوابط التي تنظم حياة الناس وشؤونهم ، وكذلك انزعاجهم بل واعتراضهم على العقوبات الصارمة التي تطال المتهاونين والمخالفين الذين يعرضون حياة الناس للخطر .... فـ عجباً لنا نخالف بل نتعمد المخالفة والتعدي على الأنظمة ثم نتضجر من تطبيق العقوبات؛ إنه لضعف في الإيمان وتخلف في الفكر وخلل في التصور أن يرى بعض الناس أن في الإلتزام بالنظام نقصاً في رجولتهم أو حطاً من كرامتهم أو تقييداً لحرياتهم ، في حين أن من المقرر عند العقلاء أنه لا يمكن بغير تطبيق النظام أن ينال الناس حقاً ولا أن ينعموا بعدل أو يجدوا أمناً أو يشعروا بطمأنينة.

فالنظام هو العدل وعلى العدل قامت السموات والأرض ، أما الغوغائية وخرق النظام فإنه نوع من أنواع التعدي والظلم ، والظلم سبب لخراب البلاد وهلاك العباد ، فاحترام النظام يعد إحدى القيم السلوكية الإجتماعية التي تعنى بها المجتمعات المتحضرة وتحرص عليها ، وتعمل جاهدة على تربية أفرادها على احترامه والتمسك به حتى يكون سلوكاً يعمل به وتتم ممارسته من قبل كل فرد من أفراد المجتمع .

وحفظ النظام يكون بأن يدرك الإنسان مواطن أو غير مواطن بأن النظام سلوك ديني ووعي حضاري و أن أكبر شواهده احترامنا لذواتنا والتزامنا بالصواب والبعد عن الخطأ في جزئيات حياتنا ، والحذر من الغوغائية والعشوائية والعبث والفوضى في أي شأن من شؤون حياتنا مهما كان يسيراً ، فاحرص على احترام النظام وتطبيقه فتطبيق النظام دليل على الوعي والرقي والتحضر والتمدن .

حامد هاشم الصبحي